

سورة «الرَّزَلَّة»

مدنيةً في قول ابن عباسٍ وقتادة^(١). ومكيّةً في قول ابن مسعودٍ وعطاءٍ وجابر^(٢). وهي تسعُ آياتٍ.

قال العلماء: وهذه السورةُ فضّلها كثير^(٣)، وتحتوي على عظيم. رَوَى الترمذيُّ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ عُدِلَتْ له بنصفِ القرآن. وَمَنْ قرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عُدِلَتْ له بربعِ القرآن، وَمَنْ قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عُدِلَتْ له بثُلثِ القرآن. قال: حديثٌ غريبٌ، وفي الباب عن ابن عباس^(٤).
وَرَوَى عن عليٍّ ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ أربعَ مرّاتٍ، كان كَمَنْ قرأ القرآنَ كلّه»^(٥).

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لَمَّا نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ بكى أبو بكر، [فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: أبكتني هذه السورة] فقال النبي ﷺ: «لولا أنّكم تُحِطُّون وتُذنبون ويغفرُ الله لكم، لَخَلَقَ أمةٌ يُحِطُّون ويُذنبون فيغفرُ لهم، إنّه هو الغفورُ الرَّحِيمُ»^(٦).

(١) أخرجه عنهما ابن مردويه، كما في الدر المنثور ٦/٣٧٩، وقول ابن عباس أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧/١٤٤، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/١٥٣.

(٢) زاد المسير ٩/٢٠١.

(٣) في (ظ): كبير.

(٤) سنن الترمذي (٢٨٩٣)، وحديث أنس في إسناده الحسن بن سلم، وهو مجهول كما ذكر الحافظ في التقریب. وحديث ابن عباس أخرجه الترمذي أيضاً (٢٨٩٤) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة. اهـ. ويمان بن المغيرة ضعيف، كما ذكر الحافظ في التقریب.

(٥) أخرجه الثعلبي، كما ذكر الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٧، قال الحافظ: لكنه من رواية أبي القاسم الطائي، وهو ساقط. اهـ. وله شاهد من حديث أنس ؓ عند أحمد (١٢٤٨٨)، وفي إسناده سلمة بن وردان، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ في التقریب.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/٥٦٨، والطبراني (٨٧ - قطعة من الجزء ١٣)، والواحدي في أسباب النزول =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾

أي: حرّكت من أضلّها. كذا روى عكرمة عن ابن عباس^(١)، وكان يقول: في النفخة الأولى يزلزلها - وقاله مجاهد - كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦] ثم تُزلزلُ ثانية فتُخرجُ موتاها، وهي الأثقال^(٢). وذكر المصدر للتأكيد، ثم أضيف إلى الأرض، كقولك: لأعطينك عطيتك، أي: عطيتي لك. وحسن ذلك لموافقة رؤوس الآي بعدها.

وقراءة العامة بكسر الزاي من الزلزال، وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر بفتحها^(٣)، وهو مصدر أيضاً، كالوسواس والقلق والجرجار. وقيل: الكسر المصدر، والفتح الاسم^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾

قال أبو عبيدة والأخفش: إذا كان الميت في بطن الأرض، فهو ثقل لها. وإذا كان فوقها، فهو ثقل عليها^(٥). وقال ابن عباس ومجاهد: «أثقالها»: موتها^(٦)،

= ص ٤٩٦، وما سلف بين حاصرتين من هذه المصادر. وأخرج مسلم (٢٧٤٨) وأحمد (٢٣٥١٥) من حديث أبي أيوب ؓ: «لولا أنكم تذبنون، لخلق الله قوماً يذبنون، فيغفر لهم».

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر المنثور ٣٨٠/٦.

(٢) تفسير الرازي ٥٨/٣٢ عن مجاهد.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧.

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٢٨٣/٣.

(٥) تفسير الرازي ٥٨/٣٢، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣٠٦/٢.

(٦) أخرجه قولهما الطبري ٥٥٩/٢٤.

تُخْرِجُهُمْ فِي النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ: الثَّقَلَانِ. وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ:
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيفِ سِدَّ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^(١)

تقول: لَمَّا دُفِنَ عَمْرٍو صَارَ حِلْيَةً لِأَهْلِ الْقُبُورِ مِنْ شَرْفِهِ وَسُؤْدُودِهِ. وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: كَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ سَفَاكًا لِلدَّمَاءِ: كَانَ ثِقَلًا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَلَمَّا مَاتَ حَطَّتِ الْأَرْضُ عَنْ ظَهْرِهَا ثِقْلَهَا.

وقيل: «أَثْقَالَهَا»: كَنُوزَهَا، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «تَقْيُّ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَيْدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ...»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ أَي: ابْنُ آدَمَ الْكَافِرِ. فَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ. وَقِيلَ: أَرَادَ كُلَّ إِنْسَانٍ يَشَاهِدُ ذَلِكَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى؛ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ. وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ جَعَلَهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ جَمِيعًا [أَنَّهَا] مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهَا، حَتَّى يَتَحَقَّقُوا عُمُومَهَا؛ فَلِذَلِكَ سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْهَا. وَعَلَى قَوْلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْكَافِرَ خَاصَّةً، جَعَلَهَا زَلْزَلَةَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مُعْتَرِفٌ بِهَا، فَهُوَ لَا يَسْأَلُ عَنْهَا، وَالْكَافِرَ جَا حُدُّ لَهَا، فَلِذَلِكَ يَسْأَلُ عَنْهَا^(٣).

ومعنى ﴿مَا لَهَا﴾ أَي: مَا لَهَا زُلْزِلَتْ. وَقِيلَ: مَا لَهَا أَخْرَجَتْ أَثْقَالَهَا، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَعْجِبُ^(٤)، أَي: لِأَيِّ شَيْءٍ زُلْزِلَتْ. وَيَجُوزُ أَنْ يُحْيِيَ اللَّهُ الْمَوْتَى بَعْدَ وَقْعِ النَّفْخَةِ

(١) ديوان الخنساء ص ١٢٠ والكامل للمبرد ٣/١٤١٥، والبيت من قصيدة ترثي بها أخاها معاوية بن عمرو، وقيل: ترثي بها صخرًا. قال المبرد: حَلَّتْ مِنَ الْحَلِيِّ، تقول: زينت به الأرض الموتى.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (١٠١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه. والأسطوان بضم الهمزة والطاء: جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته. شرح صحيح مسلم للنووي ٧/٩٨.

(٣) النكت والعيون ٦/٣١٩، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) في (د) و(م): تعجب.

الأولى، ثم تتحرك الأرض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الأرض عن الموتى أحياء، فيقولون من الهول: مالها؟!

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿١﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٢﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿١﴾ «يومئذٍ» منصوبٌ بقوله «إذا زلزلت». وقيل: بقوله: «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا»، أي: تُخبر الأرض بما عَمِلَ عليها من خيرٍ أو شرٍّ يومئذٍ. ثم قيل: هو من قول الله تعالى. وقيل: من قول الإنسان، أي: يقول الإنسان: مالها تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، متعجباً.

وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: «أندرون ما أخبارها - قالوا: اللّهُ ورسولهُ أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ أو أمةٍ بما عَمِلَ على ظهرها، تقول: عَمِلَ يومَ كذا، كذا وكذا. قال: فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا». قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ^(١).

قال الماوردي^(٢): قوله: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا»: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» بأعمالِ العبادِ على ظهرها؛ قاله أبو هريرة، ورواه مرفوعاً^(٣). وهو قولٌ من زعم أنها زلزلةُ القيامة.

الثاني: تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بما أُخْرِجَتْ من أثقالها؛ قاله يحيى بن سلام. وهو قولٌ من زعم أنها زلزلةُ أشراطِ الساعة^(٤).

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٣)، وقوله: غريب، ليس في (م) ومطبوع سنن الترمذي، والمثبت من النسخ الخطية وتحفة الأشراف ٥٠١/٩، وتحفة الأحوذى ٢٨٦/٩. وأخرجه أيضاً أحمد (٨٨٦٧)، وسلف ص ١٨٢-١٨٣ من هذا الجزء.

(٢) في النكت والعيون ٣١٩/٦.

(٣) سلف قريباً.

(٤) سقط هذا القول من مطبوع النكت والعيون.

قلت: وفي هذا المعنى حديثٌ رواه ابن مسعودٍ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إذا كان أجلُ العبدِ بأرضٍ، أو ثبَّتَه الحاجة إليها، حتى إذا بلغ أقصَى أثره قبضه الله، فتقولُ الأرض يومَ القيامة: رَبِّ هذا ما استودَعْتَنِي». أخرجه ابن ماجه في سننه. وقد تقدّم^(١).

الثالث: أنها تُحدِّثُ بقيام الساعة إذا قال الإنسان: مالها؟ قاله ابن مسعود^(٢). فتخبرُ أن أمر الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرة قد أتى. فيكونُ ذلك منها جواباً لهم عند سؤالهم، ووعيداً للكافر، وإنذاراً للمؤمن.

وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الله تعالى يقبلها حيواناً ناطقاً؛ فتتكلمُ بذلك.

الثاني: أن الله تعالى يُحدِّثُ فيها الكلام.

الثالث: أنه يكون منها بيانٌ يقوم مقامَ الكلام^(٣).

قال الطبري^(٤): تُبين أخبارها بالرجة والزلزلة وإخراج الموتى. ﴿يَأْنُ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي: إنها تحدِّثُ أخبارها بوحىِ الله «لها»، أي: إليها. والعربُ تضعُ لامَ الصِّفةِ موضعَ «إلى»؛ قال العجاج يصفُ الأرض:

أَوْحَى لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ^(٥)

وهذا قول أبي عبيدة: «أَوْحَى لَهَا» أي: إليها^(٦).

(١) عند تفسير الآية (٣٤) من سورة لقمان، وهو في سنن ابن ماجه (٤٢٦٣).

(٢) أخرجه الطبري ٥٥٨/٢٤ عن سعيد قال: زُلزلت الأرض على عهد عبد الله، فقال لها: مالك؟ أما إنها لو تكلمت قامت الساعة. قال الطبري ص ٥٦٠: وتحديثها أخبارها على القول الذي ذكرناه عن عبد الله ابن مسعود، أن تكلمت فتقول: إن الله أمرني بهذا، وأوحى إليَّ به، وأذن لي فيه.

(٣) النكت والعيون ٦/٣٢٠.

(٤) في التفسير ٥٦٠/٢٤.

(٥) ديوان العجاج ص ٢٦١، وسلف ٥/١٣٠.

(٦) زاد المسير ٩/٢٠٤، وتفسير الرازي ٣٢/٦٠، وبنحوه في مجاز القرآن ٢/٣٠٦.

وقيل: «أَوْحَى لَهَا»، أي: أَمَرَهَا؛ قاله مجاهد^(١). وقال السدي: «أَوْحَى لَهَا»، أي: قال لها^(٢). وقيل: سَخَّرَهَا.

وقيل: المعنى: يومَ تكونُ الزلزلةُ، وإخراجُ الأرضِ أثقالها، تحدُّثُ الأرضِ أخبارَها؛ ما كان عليها من الطاعات والمعاصي، وما عُملَ على ظهرها من خيرٍ وشرٍّ. ورُوي ذلك عن الثوريِّ وغيره^(٣).

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ أي: فِرْقًا؛ جمع شَتَّ. قيل: عن موقف الحساب؛ فريقٌ يأخذ جهةَ اليمينِ إلى الجنة، وفريقٌ آخرٌ يأخذ جهةَ الشمالِ إلى النار، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْفِرُفُرُوكَ﴾ [الروم: ١٤] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]. وقيل: يرجعون عن الحساب بعد فِرَاقِهِم من الحساب. ﴿أَشْتَاتًا﴾ يعني فِرْقًا فِرْقًا. ﴿لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني ثوابَ أعمالِهِم. وهذا كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما مِن أَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَيَلُومُ نَفْسَهُ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا يَقُولُ: لِمَ لَا أزدَدْتُ إِحْسَانًا؟ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ يَقُولُ: لِمَ لَا نَزَعْتُ عَنِ الْمَعَاصِي؟» وهذا عند مُعَايِنَةِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ^(٤).

وكان ابن عباس يقول: «أَشْتَاتًا» متفرِّقين على قَدْرِ أَعْمَالِهِم؛ أَهْلُ الْإِيمَانِ عَلَى حِدَّةٍ، وَأَهْلُ كُلِّ دِينٍ عَلَى حِدَّةٍ^(٥).

وقيل: هذا الصُّدُورُ، إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ النَّشُورِ؛ يَصْدُرُونَ أَشْتَاتًا مِنَ الْقُبُورِ، فَيُصَارُ بِهِمْ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ، لِيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ، أَوْ لِيُرَوَّا جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ؛ فَكَأَنَّهُمْ وَرَدُوا الْقُبُورَ فَذُفِنُوا فِيهَا، ثُمَّ صَدَرُوا عَنْهَا. والوارد: الجائي. والصادر: المُنْصَرِفُ.

(١) أخرجه الطبري ٢٤/٥٦٠ - ٥٦١.

(٢) النكت والعيون ٦/٣٢٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/٥٦١.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/٥٠٠ - ٥٠١.

(٥) بنحوه في الوسيط ٤/٥٤٢.

«أشتاتا» أي: يُبعثون من أقطار الأرض.

وعلى القول الأول^(١) فيه تقديم وتأخير؛ مجازة: تحدّث أخبارها، بأن ربّك أوحى لها، ليُروا أعمالهم. واعترض قوله: «يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا» متفرّقين عن موقف الحساب^(٢).

وقراءة العامة: «لِيُرَوَّا» بضمّ الياء، أي: ليُريهم الله أعمالهم. وقرأ الحسن والزهري وقتادة والأعرج ونصر بن عاصم وطلحة بفتحها، وروي ذلك عن النبي ﷺ^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ كان ابن عباس يقول: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْكُفَّارِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يُثَابُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ عُوقِبَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ مَعَ عِقَابِ الشَّرْكِ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يِعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ إِذَا مَاتَ، وَيُتْجَاوَزُ عَنْهُ، وَإِنْ عَمِلَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ يُقْبَلُ مِنْهُ، وَيُضَاعَفُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ^(٤). وفي بعض الحديث: الذرّة لا زنة لها^(٥).

وهذا مثل ضربه الله تعالى: أَنَّهُ لَا يُغْفَلُ مِنْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً. وهو مثلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. وقد تقدّم الكلام هناك في

(١) يعني القول بأن ﴿يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معناه: عن موقف الحساب.

(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/٢٨٣ - ٢٨٤ ، وزاد المسير ٩/٢٠٤ .

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٧ ، والمحصر الوجيز ٥/٥١١ .

(٤) ذكره بنحوه ابن عطية في المحصر الوجيز ٥/٥١١ ، والرازي ٣٢/٦١ .

(٥) سلف ٦/٣٢١ عن يزيد بن هارون قوله.

الذَّرِّ، وَأَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ^(١).

وَدَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللَّغَةِ أَنَّ الذَّرَّ: أَنْ يَضْرِبَ الرَّجُلُ بِيَدِهِ عَلَى الْأَرْضِ، فَمَا عَلِقَ بِهَا مِنَ التَّرَابِ فَهُوَ الذَّرُّ. وكذا قال ابن عباس: إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها، فكلُّ واحدٍ ممَّا لَزِقَ به من الترابِ ذَرَّةٌ^(٢).

وقال محمد بن كعب القرظي: فَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ مِنْ كَافِرٍ، يَرَى ثَوَابَهُ فِي الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ. وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ مِنْ مُؤْمِنٍ، يَرَى عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ، حَتَّى يُخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَرٌّ^(٣). دليُّه ما رواه العلماء الأثبات من حديث أنس: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ، فَأَمْسَكَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَنُرَى مَا عَمَلْنَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ^(٤)؟ قَالَ: «أَرَأَيْتَ مَا تَكْرَهُ^(٥)»، فَهُوَ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ الشَّرِّ، وَيُدْخِرُ لَكُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ الْخَيْرِ حَتَّى تُعْطَوْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ أَبُو إِدْرِيسَ: إِنَّ مِصْدَاقَهُ مِنْ^(٦) كِتَابِ اللَّهِ: «وَمَا أَصْنَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» [الشورى: ٣٠]^(٧).

وقال مقاتل: نزلت في رجلين، وذلك أنه لما نزل ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ﴾ [الإنسان: ٨] كان أحدهم يأتيه السائل، فيستقبل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة. وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، كالكذبة والغيبة والنظرة، ويقول: إنما أوعد الله النار على الكبائر، فنزلت ترغبهم في القليل من الخير أن يعطوه؛ فإنه يوشك أن

(١) ٣٢١/٦

(٢) تفسير الرازي ٣٢/٦١، وأخرجه هناد في الزهد (١٩٣).

(٣) أخرجه الطبري ٥٦٤/٢٤.

(٤) في (ظ): أو شر.

(٥) في (م): ما رأيت مما تكره.

(٦) في (م): في.

(٧) أخرجه الطبري ٥٦٤/٢٤ - ٥٦٦، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ١٩٥٩/٤.

يكثر، وتحذّرهم اليسير من الذنب، فإنه يوشك أن يكثر؛ وقاله سعيد بن جبير. والإثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال، وجميع محاسنِه أقل في عينه من كل شيء^(١).

الثانية: قراءة العامة: «يَرَهُ» بفتح الياء فيهما. وقرأ الجحدري والسلمي وعيسى بن عمر وأبان عن عاصم: «يُرَهُ» بضم الياء^(٢)، أي: يُريه الله إياه. والأولى الاختيار؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الآية [آل عمران: ٣٠]. وسكن الهاء في قوله: «يَرَهُ» في الموضوعين هشام^(٣). وكذلك رواه الكسائي عن أبي بكر^(٤) وأبي حنيفة والمغيرة. واختلس يعقوب والزهرى والحجدرى وشيبة^(٥). وأشبع الباقون.

وقيل: «يَرَهُ»، أي: يرى جزاءه؛ لأن ما عمله قد مضى وعُدِم فلا يُرى. وأشدوا: إِنَّ مَنْ يَغْتَدِي وَيَكْسِبُ إِثْمًا وَزَنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ سَيَرَاهُ وَجَازَى بِفَعْلِهِ الشَّرَّ شَرًّا وَبِفِعْلِ الْجَمِيلِ أَيْضًا جَزَاهُ هَكَذَا قَوْلُهُ تَبَارَكَ رَبِّي فِي إِذَا زُلْزِلَتْ وَجَلَّ ثَنَاهُ

الثالثة: قال ابن مسعود: هذه أحكم آية في القرآن^(٦)، وصدق. وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية، القائلون بالعموم ومن لم يقل به. وروي [عن]^(٧) كعب الأخبار أنه قال: لقد أنزل الله على محمد آيتين أخصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور

(١) تفسير البغوي ٥١٦/٤، دون قوله: وقاله سعيد بن جبير. وأخرجه عن سعيد بن جبير ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٣٨١/٦.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٧٧، والمحرم الوجيز ٥١٢/٥. وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤ عن أبان عن عاصم، والمشهور عن عاصم بفتح الياء.

(٣) السبعة ص ٦٩٤، والتيسير ص ٢٢٤.

(٤) ذكرها عن الكسائي عن أبي بكر ابن مجاهد في السبعة ص ٦٩٤، والمشهور عنهما: «يَرَهُ» بإشباع الضم.

(٥) النشر ٣١١/١ عن يعقوب.

(٦) تفسير البغوي ٥١٦/٤، وأخرجه مطولاً عبد الرزاق ٣٨٨/٢ - ٣٨٩.

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

والصُّحُف: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).
قال الشيخ أبو مدين في قوله تعالى: «فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يره» قال: في الحالِ قبلَ المالِ^(٢).

وكان النبي ﷺ يسمي هذه الآية: الآية الجامعة الفأدة، كما في الصحيح لما سُئِلَ عن الحُمُرِ وسَكَتَ عن البغال، والجوابُ فيهما واحدٌ؛ لأنَّ البغلَ والحمارَ لا كَرَّ فيهما ولا فَرَّ، فلَمَّا ذَكَرَ النبي ﷺ ما في الخيل من الأجر الدائم، والثواب المستمر، سأل السائلُ عن الحُمُرِ؛ لأنَّهم لم يكن عندهم يومئذٍ بَغْلٌ، ولا دَخَلَ الحجازَ منها إلا بَغْلَةُ النبي ﷺ «الدُّدُلُ»، التي أهداها له المقوقس، فأفتاه في الحَمِيرِ بعموم الآية، وأنَّ في الحمارِ مِثاقيلَ ذرٍّ كثيرة؛ قاله ابنُ العربي^(٣).

وفي «الموطأ»: أنَّ مَسْكِيناً اسْتَطْعَمَ عَائِشَةُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وبين يديها عَنَبٌ، فقالت لإنسان: خُذْ حَبَةً فَأَعْطِهَا إِيَّاهَا. فجعل ينظرُ إليها وَيَعْجَبُ، فقالت: أَتَعْجَبُ! كم ترى في هذه الحَبَةِ من مِثقالِ ذرَّةٍ^(٤).

وروي عن سعد بن أبي وقَّاص: أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِتَمْرَتَيْنِ، فقبض السائلُ يَدَهُ، فقال للسائل: وَيَقْبِلُ اللَّهُ مِثْقَالَ الذَّرِّ، وفي التمرتين مِثاقيلُ ذرٍّ كثيرة^(٥).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/٦، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٥٩ - ١٩٦٠.

(٢) من قوله: قال الشيخ أبو مدين، إلى هذا الموضع من (م) وليس في النسخ الخطية. وأبو مدين لعنه شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد، شيخ أهل المغرب، توفي في نحو سنة (٥٩٠هـ). وهناك شيخ آخر يكنى أبا مدين، وهو شعيب بن يحيى بن أحمد القيرواني ثم الإسكندراني التاجر، توفي سنة (٦٤٥هـ). السير ٢١/٢١٩ و ٢٣/٢٦٨.

(٣) في أحكام القرآن ٤/١٩٦٠، والحديث الذي ذكره أخرجه أحمد (٧٥٦٣)، والبخاري (٢٣٧١) ومسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة ؓ، وسلفت قطعة منه ٥٢/٥.

(٤) الموطأ ٢/٩٩٧ وفيه: قال مالك: بلغني أن مسكيناً استطعم عائشة... وقد أخرجه بنحوه متصلاً أبو عبيد في الأموال (٩١١).

(٥) أخرجه بنحوه أبو عبيد في الأموال (٩١٠)، وذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/٤٠٨.

وروى الْمُطَّلِبُ بن حَنْطَب: أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرُؤُهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْثِقَالَ ذَرَّةٍ! قَالَ: «نَعَمْ» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاسْوَأَاتَاهُ! مِرَارًا، ثُمَّ قَامَ وَهُوَ يَقُولُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَخَلَ قَلْبَ الْأَعْرَابِيِّ الْإِيمَانُ»^(١).

وقال الحسن: قَدِمَ صَعْصَعَةٌ عُمُ الْفَرَزْدَقِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الْآيَاتِ، قَالَ: لَا أَبَالِي إِلَّا أَسْمَعَ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرَهَا، حَسْبِي، فَقَدْ انْتَهتِ الْمَوْعِظَةُ^(٢)؛ ذَكَرَهُ الثُّعْلُبِيُّ. وَلَقُطَّ الْمَاورِدِيُّ^(٣): وَرُوي أَنَّ صَعْصَعَةَ بِنَ نَاجِيَةَ جَدِّ الْفَرَزْدَقِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَقِرُّهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ صَعْصَعَةٌ: حَسْبِي حَسْبِي؛ إِنْ عَمِلْتُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ [خَيْرًا رَأَيْتُهُ، وَإِنْ عَمِلْتُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ] شَرًّا رَأَيْتُهُ.

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ يَعْلَمُهُ، فَعَلَّمَهُ: «إِذَا زُلْزِلَتْ - حَتَّى إِذَا بَلَغَ - فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» قَالَ: حَسْبِي. فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «دَعُوهُ فَإِنَّهُ قَدْ فَقَّهُ»^(٤).

ويُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَخَّرَ «خَيْرًا يَرَهُ» فَقِيلَ: قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ. فَقَالَ:

خَذَا بَطْنَ هَرَشَى أَوْ قَفَاهَا فَإِنَّهُ كِلَا جَانِبَيْ هَرَشَى لَهَنَّ طَرِيقُ^(٥)

(١) أخرجه سعيد بن منصور، كما في الدر المنثور ٦/٣٨١.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٣)، والنسائي في الكبرى (١١٦٣٠)، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/٢١-٢٢. وقد أخرجه الطبراني في الكبير (٧٤١١)، والحاكم ٣/٦١٣، والمزي في ترجمة صعصعة بن معاوية من تهذيب الكمال ١٣/١٧٣ - ١٧٤، ووقع عندهم: عن الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الأحنف ابن قيس، وهو ما صوّبه ابن الأثير والمزي والحافظ في الإصابة ٥/١٤١ - ١٤٢، وذكروا أنه ليس للفرزدق عم اسمه صعصعة، لكن جده اسمه صعصعة بن ناجية، وذكروا له صحبة. وينظر حاشية الحديث في مسند أحمد.

(٣) في النكت والعيون ٦/٣٢١ - ٣٢٢، وما سيأتي بين حاضرتين منه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/٣٨٨، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ١/٤٧٢.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٧٧، والكشاف ٤/٢٧٦، والكلام منه. والخبر أخرجه مطولاً صاحب الأغاني ١٢/٢٦١، والبيت لعقيل بن عُلفَة من شعراء الدولة الأموية، كما في الأغاني، وطبقات فحول =